

كانون الثاني جانفي
2019

دراسات معاصرة

ISSN: 2571-9882
EISSN: 2600-6987

معامل التأثير العربي لسنة 2018 قدره 0.265

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ دَوْلِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ نَصْفُ سَنَوِيَّةٌ تُعْنَى بِالدِّرَاسَاتِ النَّقْدِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ
تَصْدُرُ عَنْ مَخْبَرِ الدِّرَاسَاتِ النَّقْدِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ الْمُعَاَصِرَةِ - الْمَرْكَزِ الْجَامِعِيِّ الْوَنْشَرِيْسِيِّ - تَيْسَمْسِيلْتِ / الْجَزَائِرِ

السنة الثالثة - المجلد 03 - العدد 01

الإيداع القانوني:

جانفي 2019

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت



ISSN 2571-9882

الإيداع القانوني: جانفي 2019

EISSN 2600-6987

معامل التأثير العربي لسنة 2018 / 0.265

دراسات معاصرة

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر

تعنى بالدراسات النقدية والأدبية واللغوية

السنة 03 المجلد 03 العدد 01 / جانفي / كانون الثاني 2019

مختبرات مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عنوان المجلة: المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر

البريد الإلكتروني للمجلة: dirassat.mo3assira@gmail.com

تستقبل المجلة البحوث عبر المنصة الجزائرية للمجلات العلمية المحكمة

رابط المجلة:

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297>

الرئيس الشرفي للمجلة: أ. د. دحدوح عبد القادر / مدير المركز الجامعي - تيسمسيلت

مدير المجلة: أ. د. د. خلف الله بن علي - المركز الجامعي - تيسمسيلت

رئيس التحرير: د. فايد محمد - المركز الجامعي - تيسمسيلت





هيئة التحرير:

- أ.د. مصباح محمد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
أ.د. سمر الديوب- عميد كلية الآداب-جامعة حمص/سوريا.
أ.د. فريد أمعشوشو- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق - وجدة / المغرب
أ.د. خلف الله بن علي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.عادل الصالح- كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان/ تونس
د.بشير دردار- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.سحنين علي-جامعة معسكر/الجزائر
د.غربي بكاي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.سليمان زين العابدين- مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب
والفنون مكناس/المغرب

الهيئة الاستشارية للمجلة:

- أ.د. مصطفى عطية جمعة-كلية التربية الأساسية-الهيئة العامة للتعليم التطبيقي/الكويت
أ.د.يوسف وغليسي-جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة/الجزائر
أ.د.صابر الحباشة-قسم اللغة العربية-جامعة زايد/الإمارات العربية المتحدة
أ.د.بوزيان أحمد-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
أ.د.فريد أمعشوشو-المركز الجهوي لمهن التربية والتعليم-وجدة/المغرب
أ.د. بوشوشة بن جمعة-الجامعة التونسية/تونس
أ.د.علي ملاحي-كلية الآداب واللغات الشرقية-جامعة الجزائر 02/الجزائر
أ.د.عقاق قادة-كلية الآداب-جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس/الجزائر
أ.د.نعيمة علي عبد الجواد(لغة وأدب إنجليزي)-كلية الآداب-جامعة القصيم/السعودية
أ.د.مباركي بوعلام-كلية الآداب-جامعة الطاهر مولاي-سعيدة/الجزائر
أ.د.غربي شميصة-كلية الآداب-جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس/الجزائر
أ.د.زروقي عبد القادر-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
أ.د.بولفوس زهيرة-جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة/الجزائر
أ.د.ذهبية حمو الحاج-كلية الآداب-جامعة مولود معمري-تيزي وزو/الجزائر
أ.د. عبد العالي بوطيب جامعة مولاي إسماعيل مكناس/ المغرب.



اللجنة العلمية للعدد الأول المجلد الثالث - السنة الثالثة (يناير 2019):

- أ.د. مصباح محمد - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. لرقم راضية - كلية الآداب - جامعة قسنطينة / الجزائر
د. يونس محمد - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
أ.د. سمر الديوب - عميد كلية الآداب - جامعة حمص / سوريا.
د. بن قلبية مختارية - كلية الآداب - جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم / الجزائر
أ.د. فريد أمعشوشو - المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق - وجدة / المغرب
د. محمد الرقيبات - جامعة اليرموك / الأردن
أ.د. خلف الله بن علي - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. فاضل دلال - جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي / الجزائر
أ.د. بن فريحة الجيلالي - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. بوزوادة حبيب - كلية الآداب - جامعة معسكر / الجزائر
د. بولخراس محمد - كلية الآداب - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
د. طالب عبد القادر - جامعة محمد بوقرة - بومرداس / الجزائر.
د. رز ايقية محمود - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. عادل الصالح - كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان / تونس
د. مرسل مسعودة - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر.
د. نورة الجهني - جامعة الملك عبد العزيز - جدة / السعودية
د. بلمهوب هند - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. علاوة كوسة - المركز الجامعي ميلة / الجزائر
د. عبد العالي السراج - مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب والفنون
مكناس / المغرب
د. معازيز بوبكر - كلية الآداب - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
د. حاكمي لخضر - كلية الآداب - جامعة د. الطاهر مولاي - سعيدة / الجزائر
د. بومسحة العربي - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. بلمرسل سبيع - كلية الآداب - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
د. روقاب جميلة - كلية الآداب - جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف / الجزائر
د. بشير دردار - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
د. سحنين علي - جامعة معسكر / الجزائر



- د. هادي لخير - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- أ. د. سيدي محمد بن مالك - المركز الجامعي مغنية / الجزائر
- د. شريف سعاد - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- د. طير ابراهيم - مركز ابن زهر للأبحاث والدراسات في التواصل وتحليل الخطاب (مريد) -
أغادير / المغرب
- د. تواتي خالد - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- د. بوضياف محمد الصالح - المركز الجامعي - النعامة / الجزائر
- د. بوعرارة محمد - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- د. براهي فاطمة - كلية الآداب - جامعة جيلالي ليايس - سيدي بلعباس / الجزائر
- د. غربي بكاي - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- د. باقل دنيا - كلية الآداب - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
- د. خضر أبو جحجوح - الجامعة الإسلامية - غزة / فلسطين
- د. بولعشار مرسل - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- د. دبيح محمد - كلية الآداب - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
- د. سليمان زين العابدين - مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب
والفنون مكناس / المغرب
- د. فايد محمد - المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر
- د. خالد كاظم حميدي - كلية الشيخ الطوسي الجامعة / العراق
- د. بوغاري فاطمة - كلية الآداب - ملحقة قصر الشلالة - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
- د. بوشلقية رزيقة - كلية الآداب - جامعة مولود معمري - تيزي وزو / الجزائر
- د. فارز فاطمة - كلية الآداب - ملحقة قصر الشلالة - جامعة ابن خلدون - تيارت / الجزائر
- د. زغودة اسماعيل - كلية الآداب - جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف / الجزائر
- د. بوسحابة رحمة (ترجمة) - كلية الآداب - جامعة معسكر / الجزائر



روابط توطين مجلة دراسات معاصرة

المجلة موطنة ضمن موقع الأرضية الجزائرية الإلكترونية للمجلات العلمية المحكمة asjp

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297>

ومفهرسة عبر موقع المركز الجامعي تيسمسيلت عبر الرابط الآتي

[/ http://www.cuniv-tissemsilt.dz/index.php/dirassat-moaasira](http://www.cuniv-tissemsilt.dz/index.php/dirassat-moaasira)

وعبر موقع معامل التأثير العربي عبر الرابط الآتي

<http://www.arabimpactfactor.com/Pages/tafaseljournal.php?id=7658>

وعبر قاعدة بيانات دار المنظومة بالملكة العربية السعودية/ رابط دار المنظومة

[/ http://mandumah.com](http://mandumah.com)

وعبر قاعدة بيانات مؤسسة معرفة للمحتوى الرقمي بالأردن/ رابط المؤسسة

[/ https://e-marefa.net/ar](https://e-marefa.net/ar)



شروط النشر وضوابطه

مدير النشر: د. بن علي خلف الله

رئيس التحرير: د. فايد محمد.

تشرف الهيئة المشرفة على مجلة (دراسات معاصرة)، بدعوة السادة الباحثين من داخل الوطن وخارجه للمساهمة في أعدادها المقبلة بإذن الله، وذلك بإرسال أوراقهم البحثية التي تدخل ضمن اهتمامات المجلة، مع التنويه بضرورة التزام شروط النشر وضوابطه المعتمدة والمبيّنة أدناه:

- 1- تنشر المجلة الأبحاث ذات الصلة باللغة والأدب والنقد.
- 2- يشترط في البحث أن لا يكون نشر أو قدم للنشر في أي مكان آخر، ويتعهد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث للنشر.
- 3- تخضع البحوث للتقويم حسب الأصول العلمية المتبعة.
- 4- يكتب البحث باستعمال برنامج 2007 Microsoft Word بصيغة doc أو بصيغة docx. وتكتب الهوامش في آخر البحث يدوياً.
- 5- الخط عربي تقليدي حجم 16 للمتن، 14 للإحالات (باللغة الأجنبية خط times new roman) حجم 14 للمتن 12 للإحالات.
- 6- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20، ولا يقل عن 15.
- 7- العناوين الرئيسية والفرعية: تستخدم لتقسيم أجزاء البحث حسب أهميتها، ويتسلسل منطقي.
- 8- يقدم الباحث ملخصاً وكلمات مفاتيح باللغتين العربية والانجليزية.
- 9- لـهيئة التحرير حق إجراء تعديلات تتعلق بالإخراج الفني النهائي لمواد المجلة.
- 10- قرار هيئة التحرير بقبول إحالة البحث إلى المحكمين أو رفضه مباشرة قرار نهائي مع الاحتفاظ بحقها بعدم إبداء الأسباب.
- 11- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة.
- 12- تدرج الإحالات بصيغة يدوية في نهاية البحث ويستعمل الباحث العلامة: "....." لتبيان بداية ونهاية الاقتباس،
- 13- الكلمات والمصطلحات وأسماء الأعلام باللغتين تُميّز بعلامة تختلف عن علامة الاقتباس... (.....) مثلاً.
- 14- يزود الباحث بنسخة pdf من العدد الذي نشر فيه بحثه.

ملاحظة مهمة: يتم استقبال المقالات على مدار السنة. تصدر المجلة مجلداً واحداً كل سنة يتكوّن من عددین يصدر الأول في الأسبوع الأول من شهر يناير من كلّ سنة أما الثاني فيصدر في الأسبوع الأول من شهر جويلية/ نوقف استقبال المقالات الخاصة بكل عدد قبل موعد نشره بـ 90 يوماً

كانت حلماً يداعب مخيلتنا، وأصبحت حقيقة بين يدي قرائها، وباحثيها. لم يكن في أذهاننا أن نضيف رقماً إلى سلسلة الدوريات المحكمة في الوطن العربي، ونحن ندرك أنه هدف مشروع، ولا يخلو من فائدة حين يتحول التراكم إلى كيف ما، لكن المسافة بين هدفنا والأفق المفتوح كانت حافلة بالأحلام الخضر؛ لذا لم تقتنع بالثمار الميسورة من شجرة الواقع الثقافي، وامتد حلمنا إلى مجلة تقنع عقول قرائها، وتقدم لهم الفائدة المرجوة، وتكون عوناً للباحثين، فراحت أنظارنا تتعلق بزرع شجرة جديدة؛ لقناعتنا أن ما تأتي به الرياح تأخذه الرياح، فكان سعيها لتأسيس عمل جاد علمي رعيناه بذرة لكي يتحول إلى شجرة لا تخطئها العين.

ولأن هذا انحصار في الافتتاح على الوعي الثقافي ذلنا الصعوبات وأطلقنا مجلة دراسات معاصرة المحكمة، وفرض هذا الأمر أن نتعامل تعاملات خاصة مع المادة البحثية المنشورة في مجلة دراسات معاصرة، مادة تشتمل على الإبداع، والأصول البحثية المنهجية، والعمق والرؤية الجديدة. من هنا انفتح أفق المجلة على الأبحاث الفكرية النقدية واللسانية واللغوية؛ أي على أقاليم المعرفة الإنسانية مزينين هيئة تحريرها بنخبة من الأساتذة المشهود لهم بالكفاءة في الوطن العربي.

وشرعت المجلة أبوابها للباحثين من دول الوطن العربي، وترينت هيئة تحريرها بالنخبة من النقاد المميزين في الوطن العربي من شرقه إلى غربه، فلم يحدّ تباعد المسافات من التواصل، بل جعلنا أشد شوقاً إلى الآخر. إن حظ دراسات معاصرة في الوجود بين شقيقتيها في الوطن العربي يصبح وجوداً حيويًا، يكتظ بالإنجازات المهمة، والخطوات الخضر. إننا نفتخر أنها ولدت في زمن التطلعات الكبرى نحو التميز والإبداع. إننا مسكونون بالقد الأجل، وتحقيقاً لهذا الطموح يصدر هذا العدد من مجلة دراسات معاصرة متضمناً جملة من المباحث المهمة التي تثير أسئلة في النقد تتصل بالمضامين التي يتأسس عليها أو بالمنهج والآليات التي يتوسل بها حين يستطلق النص الأدبي، وحول أسئلة النقد ثمة أسئلة أخرى ترصد الحيثيات القائمة بين النقد بوصفه حقلاً معرفياً والسياق الفكري الذي يصنعه الحدث التاريخي. فلم ينفصل النقد الأدبي يوماً عن المنظومة الفكرية العامة.

في هذا العدد الأول من المجلد الثالث الذي يصدر للسنة الثالثة على التوالي ثمة جملة من المباحث المتنوعة ما بين الفكري والنقدي والاجتماعي واللساني واللغوي، فيطالعنا بحث التجربة النقدية لدى محمد مصايف، والبعد التداولي للغة في تحليل الخطاب، وتحديد مكانة المرأة القديمة والمعاصرة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، والعلاقة بين الذات والآخر في رواية أول حب آخر حب في رواية ماري رشو، وآليات السرد المعاصر في الخطاب الأدبي، والشخصية المسرحية من منظور التلقي، وظاهرة الخلط في كتب التراث اللغوية، وغيرها الكثير من المباحث المتنوعة.

ونحن إذ نصدر هذا العدد الجديد نعمل على تطوير حلمنا، ونشكر القائمين على شؤون المجلة، والساعين إلى الارتقاء بها إلى أفضل المستويات، ونعد بالأفضل دائماً.

بقلم المحرر المساعد أ.د. سمر الديوب

سوريا - حمص - جامعة البعث

محتوى العدد:

- أثر البنية الإحالية لضمير الشأن في التماسك النصي (دراسة تطبيقية في بعض آي القرآن الكريم)..... 22-11
د. نور الدين دريم- جامعة الشلف الجزائر.
- الاستشراف بين الاستمرارية و الأفول دراسة حجاجية..... 31-23
د. حكيم دريسي- جامعة سيدي بلعباس الجزائر.
- البعد التداولي للغة في تحليل الخطاب..... 39-32
د. بومسحة العربي- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- التجربة النقدية لدى محمد مصايف..... 48-40
أ.د. خلف الله- بن علي المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- التحقيق وعلم الخطوط (المصطلح والمفهوم)..... 57-49
د. فتح الله محمد- المركز الجامعي أحمد بن يحيى الوشريسي تيسمسيلت الجزائر.
- التكامل بين محارقي المحادثة والاستماع في التحصيل اللغوي المرحلة التحضيرية نموذجاً..... 64-58
أ.د. بن فرجة جيلالي- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- الحكاية الشعبية في موازين الدراسات السيميائية والأثروبولوجية (تحليل حكاية شعبية مرحة من منطقة الشلف)..... 73-65
د. نبيلة بلعبدي- جامعة الشلف الجزائر.
- الخطاب الإشهاري في ضوء المقاربة الحجاجية..... 81-74
د. سعيدة حمداوي- جامعة أم البواقي الجزائر.
- الخطاب النقدي القديم من احتذاء النحو إلى وصاية البلاغة..... 95-82
د. بشير دردار- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- الزوائد المعرفية الحديثة في تشكيل الفكر الأدونيسي (الهوية الممزقة والدفاع ضد القمع)..... 106-96
د. معازيز بوكري- جامعة تيارت الجزائر.
- الشخصية المسرحية من منظور التلقي مسرحية "حلم ليلة دم" نموذجاً..... 116-107
د. بشري سعيدي- الكلية المتعددة التخصصات الرشيدية المملكة المغربية
- العلاقة بين الذات والآخر في رواية "أول حب آخر حب" لـ ماري رشو..... 127-117
د. إبراهيم الشبلي- المعهد العالي للغات الحية جامعة آرتوكلو ماردن تركيا.
- القارئ و حركة الإبداع عند نبيلة إبراهيم و حميد لمحمداني 134-128
الباحث: بوعلام حمديدي- جامعة الجزائر 2 الجزائر.
- المثقف الجزائري ورحلة المعاناة في روايات عز الدين جلاوي..... 141-135
د. رويدي عدلان- جامعة جيجل الجزائر.
- المعرفة المشتركة بين لسانيات الخطاب و البلاغة العربية -دراسة في آليات التقارب-..... 154-142
د. إدريس عمراني- مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث مكناس/المملكة المغربية
- المنهج الأسلوبي عند صلاح فضل..... 161-155
الباحثة: لرجاني خديجة- أسماء جامعة سيدي بلعباس الجزائر.
- النظرية التوليدية التحويلية وعملية التواصل اللغوي..... 170-162



- الباحثة: نعمة طيبي- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- 180-171..... النقد النسوي العربي، إرهابات وتجليات.
- الباحث: عمارني محمد- جامعة تيارت الجزائر.
- 186-181..... آليات السرد المعاصر في الخطاب الأدبي الإبراهيمي-التعدد اللغوي في رواية الثلاثة أنموذجا.
- الباحثة: نقيّة هاجر- جامعة سطيف 2 الجزائر.
- 195-187..... بنية الجملة العربية في الكتابات اللسانية التوليدية التحويلية المعاصرة كتابات عبد القادر الفهري أنموذجا.
- الأستاذ: محمد يزيد سالم- جامعة بسكرة الجزائر.
- 200-196..... بنية الحدث في رواية "فوضى الحواس" "لأحلام مستغاني".....
- الباحثة: بن عيسى سميرة- جامعة سيدي بلعباس الجزائر.
- 213-201..... بنية العامل وإنتاج السرد قراءة سيميائية في رواية رأس الشيطان لنجيب الكيلاني.
- د. رشيد بلعيفة- جامعة خنشلة الجزائر.
- 226-214..... تحديد مكانة المرأة القديمة والمعاصرة في ضوء علم اللغة الاجتماعي (أشعارُ الخنساء و سعاد الصباح أنموذجا).
- د. روح الله صيتاني تجاد- جامعة كاشان جمهورية إيران الإسلامية
- 236-227..... تعالق الشعر والدين في رواية سمرقند لـ "أمين معلوف".....
- الباحث: نوال العايب- جامعة عنابة. الجزائر.
- 245-237..... تقنيات السرد العربي القديم في ضوء العجائبية ألف ليلة وليلة أنموذجا.
- الباحثة: ناجي نادية- جامعة تيارت الجزائر.
- 254-246..... دور التلفزيون في الحفاظ على الثقافة الشعبية حصة "أماشوها" أنموذجا.
- د. مولود بوزيد- جامعة تيزي وزو. الجزائر.
- 260-255..... رمزية الصورة الفوتوغرافية للأمير عبد القادر الجزائري- قراءة في الدلالة و التأويل -.
- د. حاكمي لخضر- جامعة سعيدة الجزائر.
- 271-261..... صفات الحروف بين الثعاة والبلاغيين.....
- الباحث: بوشيلية حبيب- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- 279-272..... طرائق التدريس ودورها في تفعيل العملية التعليمية.....
- الباحثة: بن نجة فتيحة- جامعة تيارت الجزائر.
- 290-280..... ظاهرة الخلط في كتب التراث اللغوية غياب منهج أم سوء فهم؟ (البيان والتبيين نموذجاً).....
- د.مرسلي مسعودة- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
- 302-291..... فاعلية السرد في الحكاية العجيبة "نصف عبيد" البناء والدلالة.....
- الباحثة: فائزة بن كروش- جامعة محمد بوضياف /المسيلة الجزائر.
- 308-303..... فلسفة القراءة التفكيكية من التأويل إلى انحراف المعنى.....
- د. عبد الرزاق علاء- المركز الجامعي عين تموشنت الجزائر.
- 318-309..... فن القراقوز في الجزائر من خلال أدب الرحلات الأجنبية.....
- أ.مباركة مسعودي- جامعة عنابة الجزائر.
- 328-319..... من مباحث تعليمية المعجم عند روبر غاليسون.....
- الباحث: وسعي بشير- جامعة سعيدة الجزائر.



تحديد مكانة المرأة القديمة و المعاصرة في ضوء علم اللغة الاجتماعي
(أشعارُ الخنساء و سعاد الصباح أنموذجاً)

*Determining the place of ancient and contemporary women in the light of social linguistics
(Poetry Khansaa and Suad Al Sabah model)*

د. روح الله صيادي نجاد
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية
جامعة كاشان
جمهورية إيران الإسلامية
saiiadi57@gmail.com

الملخص:

اللغة إحدى الوقائع الاجتماعية الفاعلة و المؤثرة في سياق الوجود الاجتماعي، هي امرأة صادقة تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد المجتمع من نُظم و عادات و اتجاهات ثقافية. وكلما توغل الفرد في محيطه الاجتماعي شغلت اللغة مكانة متزايدة، لا في حياته الاجتماعية فحسب بل في سلوكه و تفكيره و أحاسيسه أيضاً. الباحث في هذه الورقة البحثية بالتتابع المنهج الوصفي - التحليلي يحاول تعيين المكانة الاجتماعية و الثقافية للمرأة القديمة و المعاصرة على أساس علم اللغة الاجتماعي في أشعار الخنساء و سعاد الصباح. تتم هذه الدراسة عن أن سيادة خطاب الرجل أوقعت المرأة في فخ حقيقة المذكر. الثقافة الذكورية منحت الخنساء إجازة انشاد الأشعار و لابد لها من الاستفحال و الانجراف في سبيل الفحولة، لذا عبرت عن همومها بلغة الرجال هي الفصحى. وهذه الثقافة الذكورية قد حصرتها في فن الرثاء و لم تسمح لها بأن تبيح مجيهاً أبداً. المجتمع التقليدي ألزم الخنساء بصمت كلماتها في الشكل العمودي الذي ينتسب إلى الرجل. أما سعاد الصباح بدأت دعواتها بالخروج عن اللغة المألوفة و لم تهتم بمعايير اللغة وأصبحتمهتها الكبرى هي تأسيس الوجود باللغة الجديدة، لذلك شكلت عمارتها اللغوية على خطوط التماس معالم حرم و الجسد، والعراء، والحب. هي لا تشعر بالأمان في عالم الرجل لذلك تحدثت عن أنوثتها في قصيدة التفعيلة التي تتناسب خصائصها الجسدية. هي تحاول أن تسلب من الثقافة ذاتها الجريئة و تسعى لإخراج نفسها من هامش الثقافة إلى بطن الثقافة.

الكلمات المفتاحية: المرأة، علم اللغة الاجتماعي، الخنساء، سعاد الصباح، الثقافة، الاجتماع.

*Determine the cultural and social status of ancient and contemporary Arab women based on
Social linguistics (Case Study of Khansa and Sa'ad Al-Sabah Poems)*

Abstract:

Language is one of the sociological realities which are effective and dynamic in sociological texture. Language is a factual mirror for showing cultural disciplines and habits and attitudes. Language have special place not also in social life but also in thinking and manner and emotions of human.

This research wants to specify the place of Arab old and contemporary woman based on language ideology in poems of these two poets Khansa and Soado al- Sabah by using analytic and descriptive method.

The findings of research represent that speech supremacy of man tangled woman in manly reality. Manly culture gave to Khansa permission of singing and he didn't have any

remedy except manly singing. He spoke about his sorrows with eloquent language. It was manly culture that limited woman in eloquent technique and caused that she doesn't speak about love.

Traditional society compels woman to use vertical form for her words which is for man but Soado-al-Sabah started his invitation with exiting of standard language and not paying attention to them, in fact her origin commission was existence establishment by new language. She institute language building on forbidden things and taboos like body, love, nakedness and.... she didn't have security in man world so she spoke about her feminist in elegy which was adapted to her physical characters. She tried to retake her existence from culture and take herself from margin of culture to center of culture.

Keywords: Language ideology, Khansa, Soad al-Sabah, culture and society.

1. مقدمة

يُصوّر الأدب الحياة الإنسانية عامةً، و الحياة الاجتماعية خاصةً، كما يعكس تطوّر النشاط الفكري و المعرفي للمجتمع، و بما أنّ الأدب شديد الصلة بالمجتمع، فهو يعبر عن بئى فكرية و اجتماعية و اقتصادية تفسّر من خلالها أفراد الجماعة عن سرّ وجودها الفكري و المادي و كما أنّ الصراع بشتى أشكاله و أنواعه مشروع في المجتمع، فذلك الكتاب الأدبي لها مشروعيتها التعبير عن هذا الصراع الاجتماعي، بغية هذه العلاقة الوطيدة التي نشأت بين الأدب و المجتمع، ظهرت عدّة اتجاهات و مدارس نقدية تنادي باجتماعية الأدب.

إنّ تدخل العلاقات الاجتماعية في المجتمع يفرز زخماً من القيم الفكرية و الأخلاقية، وتعدّ اللغة عنصر التفاعل فيها، اللغة أساساً حقيقة اجتماعية تنبني دراستها في ضوء علاقتها بالمتحدثين بها ومشاعرهم النفسية. فاللغة ليست ضرورة للحياة فحسب وإنما هي ضرورة للاجتماع لأنها نتاج الجماعات، و مقتضيات العمران، فاللغة -و هي الواقع الاجتماعي- بمعناه الأوفى، تنتج من الاحتكاك الاجتماعي، ولهذا صارت واحدة من أقوى القوى التي تربط الجماعات، وقد دانت بنشوءها إلى وجود احتشاد اجتماعي¹. وقد كان للعرب في هذا المجال رأي ينم عن وعي وإدراك عميقين للعلاقة الكامنة بين اللغة و المجتمع، فقد عرّف ابن جني (ت 392) اللغة بأنها «أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم»². وهذا التعريف الجامع و الشامل الموجز يسبق فيه ابن جني ما جاء به غيره بمئات السنين، لأنه يعرض في تعريفه الموجز هذا وظيفة اللغة في المجتمع حين تعبر عن آراء كل قوم و أغراضهم و شؤونهم الحياتية. بناءً على هذا أنّ اللغة في جوهرها متأصلة في حقيقة الثقافة و نظم الحياة و العادات عند كل جماعة وهي توفر مدخلاً للثقافة، وتعيّن في الكشف عن المفاهيم

المحورية فيها، ولا يمكن إيضاح اللغة و تفسيرها إلّا بالرجوع الدائم إلى محيطها الأوسع الذي تخلق و تنشأ فيها الكلام. بناءً من هذا إنّ نظرة الإنسان إلى العالم الخارجي ترتبط بلغته كما «سابير» و «ورف» في نظريتهما المعروفة يذهبان إلى « أنّ الناس لا يعيشون فقط في نطاق عالم الأشياء، أو ما يحيط بها، بل يعيشون أيضاً في نطاق عالم لغتهم الأم، ومن ثمّ فإننا نستنبط العالم الذي يحيط بنا وفق لغتنا، كما أنّنا ندرك العالم من خلال منظار اللغة و من ثمّ أنّنا أسرى للألفاظ³. كما ذكرنا أنّنا أنّ اللغة جزء أساسي من مكونات الهوية الفردية و الجماعية على حدّ سواء، فحينما «سأل سائل» نوال سعادوي ما هو وطنك؟ قالت: وطني هو اللغة العربية⁴. من أجل هذا فنحن نميل إلى ربط معظم الاختلافات اللغوية بين الجسدين إلى العامل الاجتماعي و الثقافي حتى ندرك مكانة المرأة في الثقافة الإنسانية و النظام الاجتماعي.

1.1. أهمية الدراسة:

في أثناء دارسنا و مطالعنا، واجهت عبارة «لسيمون دي بوفوار» حيث قالت: « لا يأتي المرء إلى العالم امرأة بل يجعلون منه هكذا»⁵. وهذا معناه أنّ الجسد لا يتأثّر لمجرد أنّ صاحبه امرأة و من هنا يكون التأنيث مفهوماً ثقافياً و ليس قيمة طبيعية جوهرية. وهذا شكل حوافزي لدرس المكانة الاجتماعية و الثقافية للخنساء و لسعاد الصباح عبر لغاتهما و تراكيبها اللغوية لأنّ اللغة امرأة صادقة تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد المجتمع من نظم و تقاليد و عادات و اتجاهات ثقافية. في الحقيقة تكون هذه الورقة البحثية رحلة شاقّة عبر الزمان و المكان لتحزّي صورة دقيقة و واضحة، بالتأكيد إنّ هذا البحث يدفع عجلة النقد التسوي إلى الأمام.

1.2. أسئلة البحث

الباحث يحاول الإجابة عن هذه الأسئلة في هذا البحث:

1. هل النظام اللغوي وحده يستطيع أن يبدي التحيز الثقافي أو الاجتماعي؟
2. لماذا حصرت الثقافة المرأة القديمة في فن الرثاء؟
3. لماذا سعاد الصباح لونت ديوانها بأكثر من غرض؟
4. لماذا الخنساء اختارت الشكل العمودي للقصيدة وسعاد الصباح قالت أنوثتها في قصيدة التفعيلة؟
5. لماذا الخنساء اختارت اللغة الفصحى للحكي وسعاد الصباح زاوجت بين اللغة الفصحى واللغة الدارجة والعامية؟

1.3. خلفية البحث ودوافع اختيار البحث

يظهر البحث لنا أن معظم دراسات معنية بالمرأة انعكف على شعر شاعرة بعينها، أو شعاع قطر في فترة محددة من تاريخه، أو دراسة المضامين العامة دون التركيز على الخصوصية الأنثوية، بينما لا نرى بينها دراسات وبحوثاً ركزت اهتمامها على لغة الشعر النسوي القديم والمعاصر وتحديد مكانة المرأة الثقافية والاجتماعية فيها، على نحو ما ينوي هذا البحث الاضطلاع به. لا يخفى لنا أنني وجدت ثلاثة كتب تدرس لغة المرأة ككتاب «اللغة واختلاف الجنسين» لأحمد مختار عمر وكتاب «اللغة والجنس» لعيسى برهومة وكتاب «المرأة واللغة» لعبدالله غلامي. جدير بالذكر أن الباحثون قد اعتمدوا كثيراً على دراسات غربية لوصف أساليب لغة المرأة ومناهجها و تشریح الفروق بين الرجل والمرأة في التعامل مع اللغة. جدير بالذكر أن عبدالله الغلامي يقول في كتابه الشهير إن المرأة المعاصرة تحاول أن تحصل على لغة الرجولة بينما نختبر هذا القول في هذه الورقة البحثية.

من البديهي أن مسألة اللغة والجنس من الموضوعين الهامين في فضاء التفكيك والبحث في الفكر النقدي المعاصر، ولا سيما بعد نهوض الحركات النسوية في العالم الحديث، ومازالت هذه المسألة تأخذ بناط أفكار الباحثين الناشطين في الحقول النقدية والنسائية، بناء على هذا صمّم الباحث على أن يواصل البحث من وجهة نسائية - نقدية .

1.4. منهج البحث:

اللغة ظاهرة بشرية ونتاج انساني لا يمكن انفصالها أبداً عن سياقاتها الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية، لذا يتبع الباحث المنهج الوصفي- التحليلي لانجاز هذا البحث. الباحث في الخطوة الأولى قرأ التصوُّص الشعري لهاتين الشاعرتين، الخنساء وسعاد الصباح، قراءة براغماتية وفي الخطوة الثانية يتعرّض للحفرا الأركيولوجي للغةها الشعرية بغية الوصول على توصيف عام للمرأة.

لا غرو في أن هذه الورقة البحثية في الدراسات العربية بكرة وتُنجز للمرة الأولى داخل القطر وخارجه؛ عسى أن تمنح الموضوع جدّة وتضاف إلى ما قد سبق. والباحث في انجاز هذا البحث قدواجه صعوبات ومشاكل عديدة منها قلّة المصادر والمراجع للبحث وعدم توقّرها في بلدنا، هذا من جهة ومن جهة أخرى معالجة الأشعار النسوية في ضوء المدرسة البراغماتية، من المباحث الناشئة تطلب سعيًا دؤوباً وجهداً جهيداً.

2. المرأة والثقافة الإنسانية

المتخصّص لوضع المرأة في شبه الجزيرة العربية في الجاهلية يجد أنها في طبقة سفلى، فهي لا تترث، وكانت على التوام من خدم الرجل، قد فرضت الثقافة الإنسانية على المرأة مواضع سلبية معينة، فلم تكن مستقلة طيلة حياتها، فهي حينما كانت في بيت أبيها تُعرف «فلانة بنت فلان» أو «أخت فلان» وحينما تتزوج تُعرف «زوجة فلان» وحينما تنجب، تُعرف «أم فلان»، في الحقيقة كانت «كائناً اندماجياً».

لو أمعنا النظر إلى الأمثال العربية والخيال الشعبي نجد أن الأنوثة غابت غياباً تاماً عن التاريخ بوصفها أنوثة فاعلة، مدوّنة، ومؤثّرة. وتفرّدت الفحولة باللغة، كما يقول الفرزدق - الشاعر الشهير للعصر الأموي- في امرأة فتحت فمها لانشاد الشعر: «إذا صاحت الدجاجة صباح الديك فلنُدبح»⁶. هذه المقولة الشعرية تدلّ على أن العرب لم تحفل بالمرأة التي تنشد أبيات شعرية. بغض النظر عن هذا، تظهر الأمثال لنا أن أشهر فصحاء العرب وبلغائهم من الرجال كما جاء الميداني: «أخطب من قس» أو «أخطب من سحبان بن وائل»⁷. من البديهي أن الكلام في هذه الثقافة يعدّ من أبداعات الرجل وعبقرياته. فلذا ما اكتفت الثقافة بتضمين المرأة ومنعها من الحضور في اللغة على نحو ما تحقّق للرجل. كما قرأ في التاريخ الأدبي، تمّ إحصاء 504 شاعرة في الجاهلية والإسلام، ولكن لم تمنح القيم السائدة لهؤلاء الشاعرات البروز، إلا من خرقن ستار الصمت، وفرضن تجاربهنّ بمضاء وعزم، كالخنساء.

سجل الرجل التاريخ بقلمه المذكر ولفظه الفحل. وهذه الثقافة الذكورية حاربت ظهور المرأة بشقّي الوسائل وأصقت الإبداع بالرجل وتقصّره عليه واستبعدت أي ابتكار أو إبداع للأنثى. الثقافة تعدّ العدو الحقيقي للمرأة وهي التي هتمشتها طوال الوقت وألقّت بها في الظلّ وحرمتها من حقوقها الإنسانية. عبارّة أدقّ أن الثقافة أخفت الأنوثة إخفاء تاماً عن التاريخ بوصفها أنوثة فاعلة، مدوّنة، ومؤثّرة.⁹ في خاتمة المطاف أصبحت المرأة غائبة عن اللغة وراح مسار اللغة الثقافي بعيداً عن أصله المؤنث

ولأجل هذا تعيّرت المرأة إلى موضوع ثقافي. تأسيساً على ما تقدم يمكن القول إن أغلب الفروق بين الجنسين هي اجتماعية- ثقافية المنشأ، كما أقرت سيمون دي بوفوار بالفكرة نفسها بصياغة لفظية مغايرة: «لا يأتي المرء إلى العالم امرأة بل يجعلون منه هكذا»¹⁰. وهذا معناه أن الجسد لا يتأثّر بمجرد أن صاحبها امرأة ومن هنا التّأثير مفهوم ثقافياً وتصوّراً ذهنيّاً وليس قيمةً طبيعته جوهريّة ويجري إخضاع الجسد المؤنث لشروط الثقافة ويتمّ تغييره من أجل إعادة تشكيله مثلما يفعل الصينيون الذين يثنون أقدام البنات الصّغار حتّى تكبر بأقدام مُثنيّة وتظلّ تمشي مشية القطاة إلى الغدير.¹¹

ليس يخفى أن المرأة عبر التاريخ تداولتها أدوار متقلّبة، غياب المرأة واستبعادها عن المجرى التاريخي الفاعل لم يكن مطلقاً إذ لمعت للنساء أسماء في مختلف فعاليات الحياة كنّ نواقيس يقرعن في الأجواء الرجولية، هناك إنسان آخر غير الرجل، فهل تُنسى (سافو) الشاعرة اليونانية التي وضعها أفلاطون في مقطوعة شعر حماسية؛ يقولون: إن ربّات الشعر تسع، ألا ما أكثر غباءهم، فليعلموا أن سافو السبوسية هي العاشرة.¹² وهذا يؤدّي بنا إلى أن اضطهاد المرأة ليس وليدة نظرة شرفيّة أو غربيّة بل وليدة نظرة علميّة وتشير دراسات كثيرة مثل دراسات سيمون دي بوفوار، اليزابيث جينيواي، فرجينيا وولف، روجيه غارودي، نوال سعداوي،.... وغيرهم إلى ذلك.

3. بُدّة عن الحياة الدّائية و الثقافيّة للشاعرتين الخنساء وسعاد الصباح

الخنساء بنت عمرو الحارث من قبيلة سليم، اسمها تماضر ولدت سنة 575 للميلادي ولُقبت بالخنساء بسبب قصر في أنفها مع ارتفاع قليل في أرنبتها وهي صفة مستحسنة. شابت في بيت فوذ و ثروة، حيث كان أبوها ذاجاً و مرموقاً في مجتمعه، بدليل قوة شخصيّة ابنته التي تعزّ بأخوها صخر و معاوية و ما تصفها به من الكرم و الجود¹³. وقد طال عمرها حتّى أدركت الإسلام فاعتنقته مع بنينا، فهي من الشعراء المخضرمين، عاشت في بيئة مملوءة بالشعر، كانت صبيّة سمعت الشعر من أخيها معاوية ومن أخيها صخر. ولاشك في أن البيئة كلّها قد هبت بنسائم شعرها على الخنساء وكانت تصبّح و تُسمي على قصائد الشعر الجاهلي التي ينظمها أعظم شعراء الجاهلية مثل زهير بن أبي سلمى، وغيره من فحول هذا العصر في هذه البيئة الشعرية الفتية عاشت الخنساء. كانت تلت أخوها، معاوية و صخر، المحرّك الدافع على قول الشعر، حتّى أصبح الرّثاء عندها هو الملجأ من

المهموم والأحزان.¹⁴

سعاد الصباح ليست شاعرة استثنائية فحسب بل هي امرأة استثنائية في شجاعتها، وفي تمزدها و في رفضها. واستثنائية في طموحها المشروع لأنّ تحيا أيامها كما يحلو لها العيش لا وفق ماتفره قواعد البروتوكل، هي تتكلّم على سجيّة اللسان¹⁵. حقاً أن سعاد الصباح صوت نسائي معروف، ورائدة من النساء المثققات اللواتي نذرن أنفسهنّ لتحرير المرأة، ومازالن دعواتهنّ الحارة ترتدّد مع كلّ جيل في عصرنا.

4. قضيتُ الحكى لدى الخنساء وسعاد الصباح

إذا توغلنا في التاريخ الأدب العربي القديم، راجعين إلى أبعد من الفترة القصيرة التي ينتهي إليها ما وصلنا من شعر ما قبل الإسلام، نجد أنّ المرأة لها هواجس إرضاء الرجل و تختار لغتها تجبّاً عن الانتقاد و السخرية. وقد مارس الرجل سطوته على كلّ شؤون الحياة ولاسيما حقول اللغة و أنّ سيادة خطاب الرجل

أوقعت المرأة في فخ حقيقة المذكرة. بعد إمساك الرجل بالقلم، فوّض حقول اللغة إلى المرأة، ولقد خصر الرجل المرأة في كلّ الرّثاء و حصّص الفخر و الهجاء والغزل لنفسه. وهكذا أصبح غرض الرّثاء من أكثر الأبواب اتساعاً أمام تجربة

و في مكان آخر تقول هكذا:

« يقولون: إن الكتابة إثم عظيم/ فلا تكتبي/ وإن الصلاة أمام الحروف حرام/ فلا تقرري/ وإن مداد القصاصد سم/ فإياك أن- تشري؟ يقولون: إن الكلام امتياز الرجال/ فلا تنطقي/ وإن الكتابة بحر عميق المياه/ فلا تغرق/ يقولون: إني كسرت بشعري جدار الفضيلة/ وإن الرجال هم الشعراء.. »²⁰. ترى سعاد الصباح أن الكتابة تنوقر لها حرية البوح، وإنها تكتب لاستعادة صوتها، وممارسة حقها في اللغة وهي بالكتابة تريد ملأ شخصيتها بالفعل والتأثير وهذا يذكرنا بقول أحلام مستغاني حيث تقول: « نحن نكتب لنستعيد ما أضعناه، وما سرق منا خلصة »²¹.

إن المنقب في آثار سعاد الصباح يلاحظ أنها اختارت نسقاً لغوياً بين الفصحى والعامية، معتبرة « أن ثمة إشكالية في استخدام اللغة العربية وهذه الإشكالية تدور بين الفصحى التي صارت لاتعبر عن هموم الناس و بين العامية الأقرب إلى فهم الناس، وهي ترى في معرض مناقشتها لهذه المسألة أن هموم الناس لا تقرأ بالفصحى لأن الفصحى لغة الرقيب، رقيب السياسة، ورقيب الذات. وكأن الشاعرة في هذا السجال تشير بشكل رمزي إلى أن الفصحى هي لغة الرجال، وأن العامية التي كسرت و شرخت مثالياتهم تشير إلى الأنوثة، وإن كانت عرجاء.²²

انطلاقاً من هذا، إن شاعرنا سعاد الصباح في ثنايا أشعارها تستخدم كلمات دارجة و عامية بين فينة و أخرى كلمات «حنطة» و «الزغلول» باللهجة العراقية والمصرية في الأشعار التالية :

«و ضربت/ على/ يدك.../ كي لا/ تسرق/ الحنطة»²³ و تقول في مكان آخر:

«... لماذا الرجل الشرقي ينسى/ حين يلتقي امرأة نصف الكلام؟ / ولماذا لا يرى فيها سوى قطعة حلوى/ وزغاليل حمام...»²⁴. نكتفي بهذين المثالين لأن المقام هنا لا يسمح بالتوسع. بغية تحديد مكانة المرأة الثقافية والاجتماعية تحديداً دقيقاً لابد لنا من الرجوع إلى الأصوات والكلمات، والإيديولوجيا التحوية والبلاغية التي تنبعث من أشعار هاتين الشاعرتين المختلفتين في الزمن والمكان.

4.1. الأصوات و الإيديولوجية في أشعار الخنساء و سعاد الصباح

إن اللغة إحدى الوقائع الاجتماعية الفاعلة و المؤثرة في سياق الوجود الاجتماعي و ديوميتها كلها، وهي تحتوي على كل أشكال الوعي و أنساق الفكر، ومن ثم فإنها تتلون بالإنشائيولوجية مختلفة، وهذا ما جعل «باختين» يؤكد على أنه:

النساء، وقد دفعها الثقافة الذكورية إلى أن تبكي فقط. في الحقيقة كانت بيداعوجية الرثاء هي الحفاظ على المرأة في الظل و تعميم ذكورية الإبداع.¹⁶ في تيار هذه الثقافة مُنعت المرأة منعاً باتاً من البوح بحبها شعراً. تحقيق القول أن الظروف الاجتماعية، والثقافية لا تسمح لها بأن تستهل أبيات قصائدها بالوقوف على الأطلال وذكر ديار الحبيبة، والتسبب، والتشبيب، فكانت تدخل الموضوع مباشرة دون أي مقدمات.

فيما يبدو أن المجتمع آنذاك كان في ميسس الحاجة إلى نساء تتجلى فيهن عبقرية الرجال، كما تقول الشاعرة الاندلسية، «زهون بنت القلاعي» :

إن كنت في الخلق أنثى
فإن شعري مذكر¹⁷

ولعله يحسن في هذا المقام أن أشير إلى «رواية عن بشارين بُرد حيث يقول: ما من شعرٍ تقوله امرأة إلا بأن فيه الضعف، فاعتز به أحد جلسائه. والخنساء؟ فقال تلك كانت لها أربع خصي»¹⁸.

كان المجتمع الرجولي آنذاك أحادية اللغة و الرجل قد وضع يده أمام فم المرأة وهذه الثقافة السائدة اضطرت المرأة إلى الاكتفاء بالهجة المحكية في أدائها اللغوي. بناء على هذا، نجد أن الخنساء قد استخدمت اللغة الفصحى لتقرب من مصادر القوة وتنافس الرجل في مضارب الحياة و تعبر عن همومها بلغة الرجال هي الفصحى.

على الرغم من أن الخنساء رافقت بنينا الأربعة إلى القادسية، ولكن دورها مختزل في الأعمال المنزلية. وهي قد- وهبت نفسها لخدمة الرجال و تريضهم و إعداد طعامهم مع النساء المسلمات اللاتي التحقن بجيش المسلمين، كلما زادت المرأة في التخفي زادت قيمتها. لعله من البديهي القول إن أعمالها الاجتماعية كانت محدودة. ولا نجد عن جادة الصواب إذا قلنا إن دورها الاجتماعي أصبح صفرًا على السبال.

كانت الكتابة حكرًا على الرجال لفترة طويلة، أما قبلها وخمسين سنة اقتحمت المرأة عالم الكتابة، وحين قامت بذلك، عبرت عن مأساتها الحضارية، وأدانت ثقافة و حضارة تقمع المرأة. وسعاد الصباح كأمراة معاصرة فرضت نفسها على الوجود اللغوي بواسطة التعبير الشفوي، والتعبير التحريري ولقد حاولت أن- تكسر جدار الصمت و ثبت هويتها و تخلص من الوضع التوثي و تفجر صميمة الخطاب :

« في ساعات الفجر.. و في / ساعات الليل قد لا أتنقن فن/ الصمت... فسامع جهلي..../ فتش. فتش في أرجاء الأرض فما في العالم أنثى / مثلي... »¹⁹.

« لا بدّ من تحليل عميق و جادٍ للكلمة كدليل مجتمعي، حتى يمكن فهم اشتغالها كأداةٍ للوعي، وتستطيع الكلمة بفضل هذا الدور الاستثنائي الذي تؤديه كأداةٍ للوعي أن تستغل كعنصر أساسي مرافق لكل إبداع إيديولوجي كنهها نوعه، إن الكلمة تصحب كل فعل إيديولوجي وتعلق عليه...»²⁵. بناءً على هذا، إن القيمة الفكرية لا تحقق حضورها على مستوى النص الأدبي إلا إذا شغلت بمولّد إيديولوجية، كما يقول باختين: «إن الكلمات منسوجة من خيوط إيديولوجية عديدة لأخصى، إنها لمحة العلاقات المجتمعية لجميع مجالاتها، ويتضح من ثم أن الكلمة ستكون دائماً المؤثر الأكثر ملموسية لكل التحولات المجتمعية»²⁶. تجدر الإشارة إلى أن البيئة المحيطة بالخنساء أثراً كبيراً في إخراج الأصوات. وهي اكتسبت مشاعرها وشخصيتها من البيئة الصحراوية المحيطة بها. البيئة الصحراوية القاسية تكتظ بالصراعات المتواصلة و أبناءها يتصفون بصعوبة المزاج، ولهم أصواتٌ حموري، لهذا نرى هذه الشاعرة أكثر من صوت الألف في قصائدها ولاسيما في قوافي أشعارها؛ على سبيل المثال ولا الحصر:

يا عين ما لك لا تبكين تسكابا
إذ راب دهرٌ و كان الدهر ريباً
فأبكي أخاك لأيتام و أرملة
وأبكي أخاك إذا جاورت أجاباً²⁷
كما تشاهدون في هذين البيتين استخدمت الشاعرة صوت «الألف» ستة عشر مرة.

غني عن البيان أن الصحراء لم تكن لها تلك المباني الشاهقة التي نشاهدها اليوم، لذلك كان الفضاء الرخب تبعثر به الأصوات، فليجأ العربي إلى الأصوات المجهورة تهتز به الأوتار الصوتية؛ ليكون صوته مسموعاً أثناء الحديث؛ لذلك نرى استخدام الأصوات المجهورة كثيراً ولاسيما في حروف الزوي و حروف الوصل التي بلغت سبعة وأربعة و عشرون صوتاً و كان من أبرز الصوامت المجهورة وأكثرها حضوراً أصوات الراء تلاه صوت اللام.²⁸ وهذا ليس أمراً عجباً لأن الخنساء كانت شاعرة أيدتها الثقافة الذكورية و منحها إجازة إنشاد الأشعار ولا بد لها من الاستفحال و الانجراف في سبيل الفحولة.

القارئ لأبياتها يستشف أنها صبت كلماتها في الشكل العمودي الذي انتسب إلى الرجل، والتمت نفسها بوحدة الوزن و القافية في قصائدها. حقاً أنها كامراً ناتجة ثقافية جرت برمجته حسب شروط الرجل و تصرف مثل الرجل.

الخنساء كانت حبسية الخيمة ولم تنتقل عبر القبائل؛ حافظت على أنوثتها ورقتها و دورها كامراً قديمة اختزلت في الأعمال

المنزلية و تربية الأطفال، والأعمال الاجتماعية لا تتجاوز منزلها. وأيضاً المجتمع العربي التقليدي لم يعطيها فرصة لاستغلال أنوثتها في الشعر العمودي.

منيدقق النظر في ديوان أشعار سعاد الصباح يجد أنها أكثر من غرض كالزنا، والقصائد العاطفية، والقصائد الوطنية، والتأمل في الذات و الطبيعة إلى حيث أدى إلى تنوع أصواتها. قصائد ديوانها «إليك يا ولدي» تثبت أن الحزن يلجأ بالمرأة، ولاسيما المرأة الشرقية التي تغدث روحها بتاريخ طويل من الألم، فالإبداع في التعبير عن آلامها من التيارات السائدة في ديوانها. حزن سعاد الصباح، ليس استجابة لغريزتها ومشاعرها فحسب، بل إنه حزن متحضر متروك بالروح العلمية.²⁹

سعاد الصباح زارت العديد من البلاد العربية و الأوربية، وقد صقلت شخصيتها إثر هذا التنقل و الاختلاط؛ ولكن شخصيتها ما اكتسبت سمّة من الترجولية إلى حد ما، المتنبع لشعرها يلحظ أن استخدام حروف التثنية والاستعلاء - التي تناسب الرجل أكثر من المرأة - ليس بكثير في آثار سعاد الصباح بالنسبة لديوان الخنساء، وهذا نقض هذه الحقيقة³⁰ « إن اتساع الهوية في الخصائص اللغوية المميز للجنسين يتناسب طردياً مع التواصل و المشاركة في المشهد الحياتي فكلماً ضاقت الهوية فلت الاختلافات اللغوية بينهما، وكلما تقوّعت المرأة في حراسة الهيكل المنزلي، وتوارت عن الشهود زادت الاختلافات بين الجنسين و تعمقت.³¹

سعاد الصباح وجدت أن الشاعرات و الكاتبات يمارسن فعل الكتابة بلغة كانت المرأة فيها فرعاً وكانت خصوصياتها ملغاة. وهي وجدت أنهنّ يستخدمن لغة ليست من صنعهنّ وليست من إنتاجهنّ، وليست المرأة فيها سوى مادة لغوية قرّر الرجل أبعادها و مراميها و محياتها. حلّ هذه المشكلة راحته سعاد الصباح تحتل لكسر الطوق الذكوري المضروب على اللغة و راحت تسعى لأن تعبر عن رؤيتها لذاتها و للعالم دون أن تكون سلاحاً ضدها، الحل هو تأنيث الذاكرة، لأنها ما لم تتأثت الذاكرة فالعينة ستظل رجلاً و لن تجد المرأة مكاناً في خزان اللغة المكتنز بالرجال و الفحولة. بناءً على هذا؛ تحدثت عن أنوثتها في قصيدة التفعيلة التي تنتسب زيادتها إلى امرأة تُعد «حادثة ثقافية» وليست «حادثة أدبية» فحسب. بما أن خصائص المرأة الجسدية تناسب قصيدة التفعيلة عامة فإن هذا القالب الشعري يخضع لمقاييس الأنوثة، كما صرحت به الباحثة فاطمة حسين عيسى العفيف: «أخذت نصف بحور الشعر والنصف دائماً هو نصيب الأنثى»³².

حسام، فارس، هيجا، أمراس، طاعن، الدمع، خيل، الزمخ،
الوحي، الغيث، نوال، أغتر، أبلج، لؤلؤ، الجنان، نكس،
خطل، أبطال، السهود، هاجرة.

بينَ فينةٍ و أخرى نلاحظُ ألفاظاً مستوحاةً منَ القاموسِ
الديني؛ مثل: الرحمن، ربّ الناس، الله، الفردوس.

ولكنّ هو قاموسٌ فقيرٌ مقارنةً بالقاموسِ الأدبيّ، نستنبطُ
منَ هذا أنّ زرعةَ التدينِ لم تكنْ قويّةً عندَ شاعرتنا. جديرٌ بالذكرِ
إنّ إصدارَ هذا الحكمِ على أساسِ الأشعارِ التي بينَ أيدينا،
ومنَ الممكنِ أنّ معظمَ أشعارها قد ضاعتْ بمرورِ الزمنِ فلمِ يتمّ
العثورُ عليها، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى أنّ تدوينَ
أشعارِ النساءِ تمّ على أيدي الرجالِ.

أما الألفاظُ المتعلقةُ بقاموسِ الطبيعةِ و البيئةِ فقد احتلتْ
حيزاً كبيراً منَ ديوانها؛ مثل: غنس، صباح، صحراء، الرمل،
الشمس، براري، البحر، القمر، النهار، العرين، أجناد، بينما
أنّ التقادّ العربِ يرون أنّ البيئةَ قيّدَ منَ قيودِ الإبداعِ³⁵.

الخنساء ملتزمةٌ بالاقتصاد اللغوي في أشعارها، المتمعن في
أبياتها يجد أنّ عددَ أبياتِ قصائدها يتراوح ما بينَ ييتين إلى ستة
وثلاثين بيتاً، وهذا في الزمن الذي يُكتب فيه المعلقات.³⁶ هذا
الأمر يعودُ إلى ظروفٍ ثقافيةٍ واجتماعيةٍ محيطيةٍ بالخنساء
لاتسمح لها بأن تدخلَ التابوهات والمحظورات كالحبّ وليس
بوسعها تقطيعَ اللجام الذي ثلجهم به المرأة، ويحكم عليها بالصمت
وخفي مشاعرها في الحبّ وفي أسرار الحياة الزوجية فكانت
حياتها الغرامية في سياق الصمت والتكتم. وهي على غرار
شعراء الجاهليين لم تكن تفتح قصائدها بالنسيب والتشبيب.

أما الشاعرة كويتية سعاد الصباح عمدت إلى تأنيث اللغة
قصداً التأسيس لكتابة أنثوية تنفرد بنسقتها الكلي عن الوجود
والجسد، ليكون النسق والبناء التقني الجمالي خارج النسق
اللغوي البطريكية الذي ظلّ مسيطراً على عمليات الإبداع
الزواني للمرأة، لذلك حينما نبث في أشعار سعاد الصباح نجد
أنّ أكثر الألفاظ هي من المتداول، وهي كلمات قريبة المعنى
مأخوذة إجمالاً من قاموس اللغة العصرية، فهي تكتب بكلمات
عصرها القريبة إلى فهم القاري.

القبض على المعاصرة والحداثة في شعر سعاد الصباح يكون
يسيراً إذا بحثنا عنها في مجموعتها تُسمّى: « في البدء كانت
الأنثى». في هذه المجموعة تخرج الشاعرة لا على عمود الشعر
وايقاعه الغنائي وحسب، بل على خلوه وفراغه من هموم الحياة
اليومية المعاصرة، وهذا ما تفعله سعاد الصباح إذ تدبر ظهرها
لكل ما اعتادته من أساليب الشعر وقوالبه ومعانيه، وتأخذ

ولعله من القول السابق أنّها استخدمت البحور الصافية،
والتيّة، والخفيفة الشبيهة بالأنثى من حيث كونها قابلةً للتمدد
والتقلص، كشأن الجسد المؤنث الذي هو جسد مرّ يزداد،
ويظهر لنا البحث كلما حاول الشعراء الرجال إدخال البحور
المذكّرة إلى القصيدة الحديثة فلم يفلحوا في ذلك ولم تكلل جهوده
بالنتاج.

4.2. الألفاظ وإيديولوجيتها في أشعار الخنساء وسعاد الصباح

إنّ الإيديولوجيا اللغوية تمثل إدراك الإنسان للغة، الذي يظهر
على شكل أفكار وقناعات وشعوريات حول علاقة اللغة
بالحياة الاجتماعية. إذ إنّ الإيديولوجيا اللغوية تمثّل ضمّي أو
صرّح لتقاطع اللغة بالإنسان في العالم الاجتماعي، هي تتعلق
بعلاقة اللغة بجميع المجالات ذات الصلة بالإنسان مثل الهوية
والثكنة الاجتماعية. والواقع أنّ الإيديولوجيا اللغوية لا تقتصر
على اللغة فحسب، بل تشمل ظواهر متعدّدة، ففي الدراسات
الثقافية يتعرض الباحثون إلى قضايا مختلفة منها اللغة، والقوة،
والعرفية، واللغة، والمكانة الثقافية، والاجتماعية، والسياسية.³³

لقد اعتبرت الثقافة لغة النساء لغةً دوتية، لأنّها تتضمن نماذج
من الضعف وعدم الثقة، تركّز على التأفف، والعاث، وغير الجادّة
وتعطي الأولوية للاستجابات الشخصية والعاطفية. ومنذ فترة
طويلة كان المنطوق الذكوري أقوى وينبغي أن تبتها نساء
كالخنساء إذا ما أردنا حرّار مساواة اجتماعية مع الرجال؛ لذلك
احتدّت حدو الرجال في استخدام اللغة وقد استعانت من
الرجل لاجتياز هذه الطريق الوعرة.

من يتبصر في ديوان الخنساء يجد أنّ لغتها تكون
امتداداً للغة السلفية ولم تضاف عليها دلالات جديدة مخالفة لما
كانت تعبر عنه في الإرث الشعري القديم. وهي تمضغ الألفاظ
قبل استخدامها تجنّباً للشخيرة، والانتقاد وتميل إلى استخدام
لغة مُرسلة في عفوية وتأخذ كلماتها من القوالب المنحوتة أو
الرصف الهندسي وتلاعب كثيراً بالأبنية؛ على سبيل المثال
نشير إلى هذا البيت:

فقد يعصوب الجادون منه
بأروع ماجد الأخلاق غمر³⁴

كما تلاحظون في هذا البيت أنّ كلمة «يعصوب» من الأفعال
التادرة لمزيد التلاقي مُستخدمة على غرار فحول شعراء
الجاهليين.

نرى ظاهرة «التكرار» في أشعار الخنساء كثيراً إذ إنّ
ظاهرة التكرار تعود إلى مجتمع الخنساء؛ ذلك أنّ لغة السلطة
هي لغة التكرار. وكانت الأغلبية الساحقة من ألفاظها
مستوحاة من التراث الأدبي العربي أي المعجم الأدبي مثل:

طينة هي غير ما نص عليها غيرها من التحاتين، وتجل منها وتشكل صوراً لم تعرفها الأعين من قبل.

حينما نلقي النظر إلى عناوين هذه المجموعة؛ مثل : التوقيت النسائي / كهرباء / الديمقراطية / الشرعية / تعريف جديد للعالم / كيمياء / الميناء الحز / إكسبرسو / قمع سياسي / لجوء غير سياسي / النص المفتوح / إلى روبات عربي، نجد هذه العناوين مشتقة من قاموس العصر، وهي من مصطلحات الحياة اليومية المعاصرة. إنها استعملت لغة بسيطة ميسرة، مشتقة من قاموس التأس لا من المعاجم، وهي استمدت ألفاظاً موصولة بهموم الناس ومشاكلهم وهاجسهم وأحلامهم، لا بالتاريخ وأخبار الأولين.

سعاد الصباح في ديوان « في البدء كانت الأنثى » و في ديوان « قصائد حب » استخدمت لغة يمكن أن نسميها « اللغة الثالثة ». وهذه اللغة ليست محاكاة للمألوف من الكلام، مثلما هي ليست تنقيحاً لتناج متداول، وفي الواقع هذه اللغة تكون صيغة إبداعية لم تعرفها لغة العموديين، مثل ما لم تعرفها لغة الحديثيين. جدير بالذكر أن اللغة الثالثة هذه لم تُدعها سعاد الصباح، ولا هي ادعت ذلك، فقد سبقها نفر من أهل الصنعة في مقدمتهم نزار قباني، الذي يعتبر صاحب مدرسة في هذا المجال... بيد أن سعاد الصباح تجاوزته حينما نقلت حكايات العشيق التسوي من دفتر السيناريو التزاري إلى خشبة المسرح، وحينما ألغت الحجاب الحاجز بين الموقف الشعري واللغة الشعرية، وهذا لم يفعله نزار نفسه، إذ حفظ للكلمة شيئاً من القداسة.³⁷

سعاد الصباح لم تقع في آفة التكرار، لا في اللفظ ولا في المعنى؛ إذ يرى رولان بارت (Roland Barthes): «إن كل لغة تُصبح قديمة حالما تتكرر. وكل لغة تتكرر هي لغة مشبوهة».³⁸

في كثير من أشعار سعاد الصباح نجد أن الشاعرة تصعد لهجة خطابها الأنثوي. القارئ ما إن قرأ عناوين أشعارها حتى وجد هذا الخطاب الأنثوي. طالما تستثمر سعاد الصباح في عناوين دواوينها وقصائدها، لها ديوان عنوانه: « القصيدة أنثى و أنثى القصيدة ». الشاعرة في هذه المجموعة الشعرية لقد بعثت المرأة من تابوتها، فهبت من وأدّها كاسرة زخامة قبرها، وقد قلعت جذور التقاطع بشعرها، وحطمت عصر العبودية، وسخرت من حُجج الرجال المتحجرين الواهية، إذ زعموا أن المرأة تسقط وتبتذل بالغرل، وأن جبال المرأة في ضعفها واستسلامها للرجل وتسترد حقاً طبيعياً للأنثى بأن تظهر مشاعرها كالرجل، دون أن تتعرض للتقيد أو تهتم بالخروج على قواعد الأخلاق العامة، أو تشرع في وجهها خناجر القبيلة....

« هذي بلادى.... تختن القصيدة الأنثى / وتنشق الشمس لدى طلوعها / حفظاً من أمن العائلة / و تذبح المرأة أن تكلمت ؟ أو فكرت / أو كتبت / أو عشقت / غسلاً لعار العائلة / هذي بلاد أكلت نساءها / واضطجعت سعيدة ».³⁹

نجد الإشارة هنا إلى أن العنوان قيمة دلالية عند أصحاب السيميوطيقا، إذ يعتبر العنوان قائد النص، كما أنه يمثل البنية اللغوية التي تدل على النص و ذلك بوصفه وسيلة للكشف عن طبيعته وخباياه، كما يخلق علاقة بين العنوان والنص وكذا الظروف المحيطة به، التي قد تكون سبباً في إبداعه، انطلاقاً من هذا يرى « محمد مفتاح »: « أول مفتاح إجرائي نفتح به مغلق النصوص، كونه علاقة سيميوطيقية، تضمن لنا تفكيك النص وضبط انسجامه، فهو المحور الذي يتوالد و يتنامى، ويعيد إنتاج نفسه ».⁴⁰

سعاد الصباح، الحنساء المعاصرة، على نقيض الحنساء القديمة تنور على أعراف ليست تمرداً على الرجل. وهي تعرف الثقافة الرجولية كنه المعرفة. مع ذلك تستغل أنوثتها لإرغام الرجل. وهي تريد أن تدفع الرجل إلى التنازل عن دوره السلطوي، هي تعرف تماماً أن ميدان الحب هو الميدان الوحيد الذي تملك فيه فرصة إخضاع الرجل و تطويعه، لذلك تملك جرأة في الكلام عن المحظورات و عن الممنوعات و المحرم، قد لانحدها بشكل عام، وحين تتكلم المرأة عن قضايا غير مألوفة، تتكلم بجرأة. وهي تقوم بتأنيث كلمات لم يسبق للعرب عهد بها مثل كلمة « العاشق ». العرب لم تؤث لفظ «عاشق» إذ كان أصلها التذكير. هي تضرب هذه القاعدة التحويلية و الثقافية على الجدار و تصرخ مكشوفة: « أدخل كل مقاهي العالم / مقهى... مقهى... / أخبر عمال الطرقات... / أخبر ركاب الباصات... / وأخبر أزهار الشرفات... / وأخبر حتى التمل / و حتى التحل / وحتى قطط الشارع / إني أهوى... / إني أهوى... / إني أهوى... ».⁴¹

في هذه المقطوعة الشعرية هي تعلق حباً بالبوح المعلن، تحاول أيضاً صوتها الهاتف بالحب الذي تقطع به اللجام الذي تلجم به المرأة، بناءً على هذا، قد أكدت الشاعرة الفعل المضارع «أخبر» بإسناد الفاعلية و القصديّة إلى نفسها، فهي تريد أن تذيب و تُنشر الخبر، لا تخاف أن يتسرب خبر حبها، فلجأت إلى التكرار، للتأكيد على ما تريد أن تذيبه: «إني أهوى»، بالإضافة إلى استخدام أداة التوكيد «أن»، لقد وفرت لعباراتها حروفاً قوية، تُوصف بالجرية، ومعظمها حلقية المخرج، إذ إنها لا تريد الهمس، بل الجهر بمشاعرها على مسمع الجميع، دون تهيب

أو خجل من مشاعرها، لذا اختارث الأماكن العامة ليسمعها أكبر قدر من الناس و حتى المخلوقات الأخرى.

4.3. إيديولوجية التحو في أشعار الخنساء وسعاد الصباح

إن «أصليّة» المذكر عند ابن الأنباري؛ أي جعل المذكر هو المقياس⁴² تكشف عن موقف مؤدج من المرأة، وهو موقف لا ينفصل عن ثقافة عصره البطركية الأبوية التي عرّف منها وتأثرها من جهة، بل هو موقف لا يتجاوز هذه الثقافة من حيث هي مقولات جاهزة تؤطر المرأة وتقولها في قالب نمطية محددة، إنه لا يتجاوز هذه الثقافة ضرباً في تاريخ العرب والعربية. إنه ينطلق في تفسير هذه الظاهرة التحوية واللغوية من منطقي استاتيكي ساكن، غير متصور للمرأة في الواقع الاجتماعي غير ما بلغه علمه عنها قبل قرنين من الزمان. وليست نظريته «المذكر هو الأصل» في نحو ابن الأنباري و سواه إلا صدى للموقف الاجتماعي من الذكورة والأنوثة، حيث يتبوأ الذكر أعلى هرم السلطة، ويمارس من هناك (عليته) على من دونه، وفي القاع ليس سوى المرأة...⁴³. أول مظاهر التفرقة في لغتنا العربية في استخدام كلمات تدل على الذكر والأنثى؛ ولكن الثقافة السائدة قامت بتذكير الكلمة، فالشاعرة تتخذ هذه الظاهرة اللغوية رمزاً لموقف جنس متحيّز. كما نشاهد في هذا البيت:

و أكرم عند ضُر الناس جحداً
لجاء أو لجارٍ أو لعرس⁴⁴
الخنساء تلجئ إلى الإكتفاء بالهجة المحكية في أدائها اللغوي وتلتزم أشد التزاماً بمعية التحو. كلمة «العرس» هنا تعني امرأة الرجل و لفظه العروس وصف يقع على الذكر والأنثى، يقال رجل عروس و امرأة عروس مادام في فترة أعراسها، أي دخول أحدهما بالآخر.⁴⁵ تذكير هذه الكلمة يدل على أن الرجل امتلك المرأة و تكون المرأة تحت تصرفه، وهي مطوعة و منقادة له .

إن فيرجينا و ولف (f. woolf) يرى « أن شكل الجملة لا يناسب المرأة؛ لأنّ الجمل من صنع الرجال، و هي جملة ثقيلة جداً، متشدقة لاتصلح لاستخدام المرأة، إنّ الجمل هي فعلياً صناعة رجل، فلاتستطيع المرأة أن تكيّف أفكارها و خجلاتها في لغة صيغت وفقاً لحاجات الذكر.⁴⁶ يظهر لنا البحث أنّ الخنساء أكثر من الجمل الإسمية البسيطة لأنّ الثقافة جعلت المرأة إنساناً داخلياً لا يستقيم خروجه من بيته، فلإن تخرج المرأة من بيتها حتى تلاحقها الشكوك و تعتريها الظنون، بينا يكون الرجل هو إنسان الخارج، إنسان المساحات و الشوارع، إنسان الفضاء الخارجي، هنا نكتفي بذكر بضعة أبيات لهذه الشاعرة :

آي	الهضبة	آث	للعظيمة	متلاف
الكرمة	لا	يكس	و	لا
حامي	الحقيقة	نسال	الوديقة	
معتاق	الوثيقة	جلد	غير	ثنيان
طلاع	مرقية	مناغ	مغلقة	
وراد	مشرية	قطاع	أقران ⁴⁷	

قد استخدمت الخنساء الفعل بشئ أنواعه، حيث كان له الأثر العميق في إبراز معانيها، ووضعت من خلاله الأحداث التي تلت بعضها بعضاً عبر السنوات المتتالية، لعلها أكثر من الماضي والمضارع لأنها أرادت أن تصف محاسن أخوها و تعدد مناقبهم وتبرز بطولاتهم في المعارك و الحروب، وكان هذا هدفاً مهماً من أهدافها، ولن يلتي مطلبها في ذلك سوى الأفعال الماضية والمضارعة و على إثر هذا المحاسن و المناقب كانت تأمر عينيها بالبكاء و الجود في الدموع و كانت أوامرها في كل قصائدها موجهة لعينيها اللتين تعتبران السلاح الوحيد الذي تمتلكه لتواجه بهما القهر، والحزن، والآهات، ولم تكن سلطة و إلزام على أحد سوى نفسها الضعيفة المقهورة ولن تستطيع أن تمتطي صهوة خيلها لتشار لأخوها لكونها امرأة مقيدة بتقاليد القبيلة. لم تكن الخنساء ممن يمتلك السيادة و المناصب السياسية والاجتماعية المرموقة حتى يامر من حولها، ذلك نرى استخداماً لفعل الأمر قليل فمعظم أوامرها كانت موجهة لنفسها⁴⁸ لذا قد كررت فعل الأمر (جودا) التي توجه فيه الخطاب لعينيها؛ مثل هذا البيت :

يا عين جودي يدمع منك مهراق
إذا هدا الناس أو هموا بإطراق⁴⁹

لعل هذا السلوك الذي تنهجه الخنساء يجعلها أن تلتزم باللغة المعيارية وبنحوية اللغة و إذا خرجت الشاعرة عن قواعد اللغة، ليس من باب الإبتداع اللغوي، بل من الضرورة الشعرية؛ مثل هذا البيت:

حمل ألوية، شهاد أنجيه
قطاع أودية للوتر⁵⁰ طلاباً

الشاعرة في هذا البيت طلباً للصوت و حفظاً على الموسيقى تجاوز القاعدة في نصب الخبر (طلاباً) بدلاً من رفعه.

سعاد الصباح صوت نسائي معروف، ورائدة من النساء اللواتي ندرن أنفسهن لتحرير المرأة. وهي بدأت دعواتها بالخروج عن اللغة المألوفة، ولم تهتم بمعية اللغة كما يجب أن تكون، من الواضح أنّ عد هذا الخروج الذي قامت به الشاعرة، من باب الإبتداع اللغوي، وليس بالضرورة لأنها تريد إثبات قدرتها في

الخلق والتجديد وإضفاء الحيوية على نُصوصها؛ على سبيل المثال لا الحصر:

«أيها المحتلني شبراً فشبراً.... / أيها الحاكمي من غير قانون.... / ومن غير شرائع.... / أيها المالكيني... / من غير أوراق ... / ومن غير شهود...»⁵¹

في المقطع الشعري المذكور أعلاه نجد أنَّ الشاعرة تخلّت عن مراعاة أصول قواعد اللغة المعيارية، وهي أضافت «ياء» المتكلم إلى الاسم المعرف بـ «ال،» ويتضح لنا سبب ذلك التركيب الغريب، فالإتيان بـ «نون الوقاية» في الاسم، وهي تتصل أصلاً بالفعل المتصل بـ «يا» المتكلم، يوحي بشيء من إثبات ضمير «الأنا» الذي لم يجد محلاً إلا أن يكون مضافاً إليه، فكأنَّ التون تظهره أكثر للعيان، ظلت تخاطب حبيبها معزفةً إياه بـ «يا حاكمي، التعريف، لتظهر أنَّ الغلبة له، فتعاير: «يا محتلي، ويا حاكمي، ويا مالكي.....» لا تظهر هذه المفارقة التي أرادت الشاعرة إظهارها، وتجاهها ما بين قطبي: ذاته و ذات الحبيب، وقد اختارت إعلاء ذاته هو، في النهاية»⁵².

لقد شككت سعاد الصباح عبارتها اللغوية على خطوط التماس مع المحرم: قيم المجتمع الأهلي، الجسد، الغراء، الحب. وهذا السلوك اللغوي للشاعرة تذكرنا بقول «مارتن هايدغر» حيث يقول: «مهمة الشاعر الكبرى هي تأسيس الوجود باللغة»⁵³.

المرأة التي كانت في العهد المنصرمة غائبةً بذلك فصارى جهودها لإبراز ذاتها وإعطاء نفسها ضميراً منفصلاً، ذا كيانٍ مستقل. وحينما تلقى النظر إلى قصائد الشاعرة نجد أنَّ سعاد الصباح خصصت القصائد العديدة لـ «أنا» مُعبّرة عن ذاتها وجدانها؛ وقد تتعمد إظهار هذه «الأنا» المؤنثة بصوتٍ متحدٍ متمرّد: «و أعرف أنَّ الزعود ستمضي.. و أنَّ الحفافيش تمضي... وأعرف أنَّهم زائلون/ وأني أنا الباقية»⁵⁴.

سعاد الصباح استخدمت ضمير الغائب للجمع المذكور، فهذا الضمير يشكل فئة المجتمع والقبيلة، وهي فئة تُرفض الاعتراف بوجود فئة «النساء المبدعات» وتُرفض عليها سلسلة من المحرمات، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى الأتيان بضمير الغائب للجمع المذكور يدلُّ على انخفاض قدرة الرجل أمام المرأة. الشاعرة تحطّم كلَّ القوالب القديمة البالية باعتبارها بضمير المؤنث، فهي تقلب الموازين (غير العادلة) التي تنفي كيانها، بإزالة ذلك الضمير الطاغية وتثبت مكانة ضمير «الأنا» المؤنثة ولا تكفي بذكره مرةً واحدةً بل تؤكد: «أني أنا» مُسبغةً على هذا الضمير صفة البقاء.

سعاد الصباح لا تكتب بالأفكار ولكن تكتب بالكلمات؛ لذلك لا تستسيغ شكل جملة كانت من صناعة الرجال إذ إنها لا تتمكن من تكييف أفكارها وصيها في قوالب من تلك الصناعة، لذلك أكثر من الجملة الاسمية ولا تطول جملتها. في الحقيقة هي تتابع هذه السياسة، «خالف تُعرف» إذ إنها أكثر استخدام الجملة الاسمية في المجتمع البطريكي لتثير انتباه الآخرين.

من الواضح أنها في كثير من قضية موضوع المرأة تتحدث بلهجة متمرّدة، متفاوتة، صعوداً وهبوطاً بحسب طبيعة الشاعرة، وبحسب حالتها الإنفعالية ومدى شعورها بضغطة الجو المحيط وهي من أجل مواجهة ذلك، تسعى إلى كسر جدار الصمت وتفجير الكتب والبحث عن التغيير، مما يحتاج الفاعلية لا الوصف الساكن الهادي. «أريد أن أكتب إليك.... / لا لأرضي نرجسيتك، كما تظن / ولكن لأحتفل / ربّما للمرة الأولى... / ميلادي كمرأة عاشقة / و بتفجير انفعالاتي في وجه هذا العالم... / إنَّ الكتابة تبتكر لي جنات صناعية / لا أستطيع دخولها... / وتعطني حرية / لا أستطيع ممارستها... / و تخلق لي جزراً لا زوردية... / لا أستطيع السفر إليها / الكتابة إليك... هي حمام الأمان الذي يمنعي من الانفجار / و المركب الوحيد الذي أعود إليه... حين تمضني العاصفة»⁵⁵.

شاعرتنا ليست كسائر عاشر في الماضي لذلك استخدمتها للأفعال الماضية يكون قليلاً. وهي تعيش في الزمن الزاهي وهي قادرة على التخطيط والبرجمة. هي تجرب غزو العراق إلى قلب الكويت قبل أن يصل نصل غزو العراق إلى بلدها منشدة قصيدة محدّرة الكويت والكويتيين من هذا الغزو المشؤوم. «سوف تهزم بالشعر كلَّ عصورى الظلام / ويسعدني أن تظلّ بلادي / ملاذ العاصير من كل جنس / و بيت المغنين والشعراء... / ويسعدني أن تكون تراب بلادي مزار البنفسج والشهداء / و سقفاً لمن تركهم حروب العروبة دون غطاء / ويسعدني أن تظلّ بلادي جزيرة حرة رائعة / بها الفجر يطلع حين يشاء»⁵⁶ و تقول في قصيدة أخرى هكذا:

«سنرجع الكويت مهما امتدت الأيام / و نرجع البحر إلى زرقته / سنرفع المصحف في يميننا / و نرفع السيوف في شمالنا / و نهزم الغزاة مهما غربدوا، واستكبروا....؟ سيرحل المغول / عن كل شبر طاهر من أرضنا»⁵⁷

من أبرز ما تمت ملاحظته في هذا المقطع الشعري اقتران ثلاثة أفعال بسين الاستقبال لتطلّعها إلى المستقبل القريب وتيقن من مجيء الغد المشرق لذلك كررت قولها: سنرجع الكويت، سنرفع المصحف، سيرحل المغول.

تحت الزمال/ إتي فاطمة.../ أصرخ كالذئبة في الليل»⁶³. وكما يلاحظ أنَّ المرأة التي كانت نعمة في العصور الماضية ولكن تغير دورها في العصر الزاهن و تتحول إلى الذئب الجسور والجريء.

5. النتائج

1. لقد حبست الثقافة الرجولية السائدة المرأة القديم في زاوية البيت و منعها من الحضور في اللغة، وأصبحت المرأة غائبة غياباً تاماً عن اللغة. و بما أنَّ الحنساء تعد أربع خصي تعطيها الثقافة جواز خرق الصمت.

2. في أشعار الحنساء ترتفع نسبة الجملة الاسمية، وهذا يدل على أنَّ دورها الاجتماعية لا يتجاوز الأعمال المنزلية و حضورها ليس حضوراً كائناً منتجاً إذ أنَّ الثقافة السائدة أفرغت شخصيتها من الفعل والتأثير.

3. على الرغم من أنَّ الحنساء اكتسبت مشاعرها وشخصتها من البيئة الصحراوية فلم تمتلك جرأة في الكلام عن المحظورات والمحرمات، ولم تنبج بالحديث أبداً. إنها قد حافظت دائماً على الحشمة المطلوبة و تعبر عن حزنها و ألمها في الشكل العمودي الفحولي.

4. اختارت الحنساء القديمة، اللغة الفصحى للتعبير عن أحزانها وآلامها إذ إنَّ لغة الرجولة قد حققت لها التقارب أو التماثل مع الزمرة المسيطرة، و تمنحها القبول و السيرة.

5. سعاد الصباح صوت نسائي، ندرت أنفسها لتحرير المرأة، وبدأت دعواتها بالخروج عن اللغة المألوفة، ولم تهتم بمعايير اللغة كما يجب أن تكون. من الواضح أنَّ هذا الخروج الذي قامت به الشاعر، من باب الإبداع اللغوي، لأنها تريد إثبات قدرتها في الخلق والتجديد و إضفاء الحيوية على قولها الشعري.

6. لقد زواجت سعاد الصباح في التعبير بين الفصحى والعامية. هذا يعني أنَّ سعاد الصباح رافضة التحيز اللغوي ومائلة إلى إنسانية اللغة، في الواقع هي تريد خلق عالم جديد باللسان الجديد.

7. سعاد الصباح لا تستسيغ شكل جملة كانت من صناعة الرجال إذ إنها لا تتمكن من تكيف أفكارها و صيها في قوالب من تلك الصناعة، لذلك أكثر من الجمل الاسمية و لاتطوّل جملها إذ تتلون اللغة عندها بالملاحم الأنثوية، فهن عليهن المشاعر الأنثوية بأحلامها و أوجاعها الأنثوية.

8. سعاد الصباح، الحنساء المعاصرة، على نقيض الحنساء القديمة تنثور على الأعراف. هي تستغل أنوثتها لإرغام الرجل، وتسبح بحبها معلنة في الأماكن العامة و تنتهي في الحب بكل مكانها.

سعاد الصباح تغفل صوت الرجل و تحاول ترويض صوت نسائي قد أخفت قبل ستة آلاف، لذلك الكلمات التي كانت مذكورة في التحو العربي تقوم بتأنيها كعاشقة و عروسة و زوجة، تقول في مقطع شعري هكذا: «الفرق بين العاشقة الأوروبية/ و العاشقة العربية/ أنَّ الأولى تتناول الوجبات السريعة/ والأطعمة المثلجة... / واحب المتلج/ / في حين أنَّ العاشقة العربية / تشوي.../ على نار الفحم.....»⁵⁸.

هي كثيراً ما تستخدم أسلوب التداء و التدبة في ثانيا أشعارها؛ على سبيل المثال أنظر إلى هذه المقطوعة الشعرية:

« يا مشرف.... طا يرموك يا وفره يا جهره.... يا دسمان..... يا أصدقاء الصب الكبير.... و الإصرار.... والإيمان بفضلكم عادت لنا الكويت»⁵⁹.

لا حيف به في ختام هذا البحث أنَّ لا أشير إلى « قول ابن جني حينما درس أسلوب التدبة، ذكر أكثر من يتكلم بهذا الأسلوب النساء»⁶⁰.

4.4. إيديولوجية البلاغة في أشعار الحنساء وسعاد الصباح

البلاغة تضبط كيفية التعبير عن شيء كما تضبط ما غبر. ولإيديولوجيا هي المحتوى و الصناعات البلاغية تابعة للمحتوى. كل أنماط إيديولوجية و كل أنواع أدبية يستخدمان ضرباً خاصاً من الصنائع البلاغية التي تلائم للمحتوى.

كما أشرنا مسبقاً إلى أنَّ الحنساء تنحى منحى واحداً وغرضاً واحداً و هو الرثاء ولم تتحدث عن حياتها الثقافية والاجتماعية وليس بوسعنا أن نقيم مكانتها الاجتماعية و الثقافية عبر الصور البيانية. ومع كل هذا لأنسكت هذا القسم، وللحصول على هذا مكانة المرأة الثقافية و الاجتماعية للمرأة القديم عبر الصور البلاغية فلا بد لنا من الرجوع إلى التصوص التراثية.

إذا توغلنا في التراث الثقافي والعربي نجد أنَّ الجماعة العربية فقد كتبت عن المرأة بكلمات كـ « النعجة»، و «القووص» كما نقرأ في هذه الآية القرآنية:

(إنَّ هذا أخي له تسع و تسعون نعجة ولي نعجة واحدة....)⁶¹. ابن منظور، يقول: إنَّ النعجة هنا تعني الزوجة⁶².

هذه تدل على أنَّ المرأة الماضية كانت أداة رمزية قابلة للتوظيف وكانت ذلولاً و غير شمويس.

ولكن المرأة المعاصرة تحاول أن تسلب من الثقافة ذاتها الجريئة والجسورة، ولاندور دائماً حول قطب مركز واحد هو (الرجل)؛ إذ لاتشعر بالأمان في عالم الرجل و تسعى لتخرج نفسها من هامش الثقافة إلى بطن الثقافة، كما تقول سعاد الصباح: «أيها السيد... إني امردة قطيعة/ تطلع كالخنجر من

الهوامش:

1. القرآن الكريم
2. فندريس، اللغة، ترجمه: عبدالحمد الدواخلي، القاهرة: 1950م.
- ص 35.
3. ابن جني، الخصائص، فاهرة: دار الكتب. د.ت.ج 1، ص 32.
4. حسام الدين، كريم زكي، اللغة والثقافة دراسة أثرولوجية للألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010م، ص 74.
5. سعداوي، نوال، المرأة والغربة، دار المعارف، د.ت. ص 17.
6. سيمون دي بوار، جنس دوم، مترجم: قاسم صنعوي، نشر توس. 1385ش. ص 34.
7. الميداني، أبو الفضل، مجمع الأمثال، ج 1، ص 97، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
8. المصدر نفسه، د.ت.ج 1، ص 319.
9. حسين عيسى العفيف، فاطمة، لغة الشعر النسوي، ص 15، جامعة جرش، رسالة لنيل درجة الماجستير. 2010م.
10. اسمر مرعي، رودان: صورة المجتمع في القصة القصيرة النسائية الثورية، ص 100، سوريا: جامعة تشرين، رسالة قدمت لنيل درجة الدكتوراه. 2008م.
11. سيمون دي بوار، 1385: ص 34.
12. داودي، سامية، صوت المرأة في روايات إبراهيم سعدي، ص 184، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة مولود معمري- تيزي وزو، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه. د.ت.
13. إمام، إمام عبدالفتاح، أفلاطون والمرأة، ص 8، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، 1996م.
14. حركاتي، ميلود، التركيب اللغوي في شعر الخنساء في ضوء علم اللغة الحديث، ص 1، جامعة باتنة. 2007م.
15. الهاشمي، عبدالمعزم، الخنساء أم الشهداء، ص 102، بيروت: دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، 2000م.
16. راجع: الأمين، فضل، سعاد الصباح شاعرة الانتماء الحميم، ص. ص. 6-7، بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى 1994م.
17. أنظر: داودي، د.ت. ص 160.
18. المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الزطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج 4، ص 295، تحقيق: أحسان عتياس، بيروت، دار صادر، 1388ش.
19. الهاشمي، 2000م: ص 107.
20. الصباح، سعاد، في البدء كانت الأنثى، ص 4، بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، د.ت.
21. المصدر نفسه، فتايت امرأة، ص 15، الكويت: دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، 1997م.
22. مستغاني، أحلام، ذاكرة الجسد، بيروت: دار الآداب، الطبعة الأولى، 1999م. ص 46.
23. مختاري، فاطمة.: الكتابة النسائية؛ أسئلة الاختلاف ... وعلامات التحول، ص 290، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية: جامعة قاصدي مرباح- ورقلة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، 2013 م.
24. الصباح، د.ت. ص 30.
25. المصدر نفسه، د.ت. ص 54.
26. بركان، سليم، النسق الإيديولوجي و بنية الخطاب الزوائي؛ دراسة سوسيو بنائية لرواية ذاكرة الجسد للروائية أحلام مستغاني، ص 39، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية: جامعة الجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير. 2004م.
27. المصدر نفسه، 2004م: ص 39.
28. الخنساء، ديوان الخنساء، ص 148، شرحه: أبو العباس ثعلب، الأردن: دار عمّار، الطبعة الأولى، 1988م.
29. أبوعشيمة، لبنى عبدالرحمن، البناء اللغوي في شعر الخنساء وفدوى طوقان دراسة موازنة، ص 34، غزة: الجامعة الإسلامية، قدم هذا البحث لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير. 2013م.
30. الأرنؤوط، عبد اللطيف، سعاد الصباح رحلة في أعمالها غير الكاملة، ص 74، لبنان: شركة التور. د.ت
31. ذهب ماكس أدلر (Max Adler) إلى « أن الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة في بريطانيا كانت في الماضي أكثر، لأن الحياة الاجتماعية للجنسين كانت محافظة و مغلقة، على غير ما هو متحقق في العصر الزاهن(برهومة، عيسى، اللغة والجنس؛ حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، ص 120: عمان، دار الشروق، الطبعة الأولى، 2002م).
32. مختاري، 2013 م: ص 265.
33. حسين عيسى العفيف، 2010م: ص 57.
34. الشويرخ، صالح ناصر، قضايا معاصرة في اللسانيات التطبيقية، ص 97، المملكة العربية السعودية: الطبعة الأولى، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز، 2017م.
35. الخنساء، 1998 م: ص 187.
36. الزبيدي، توفيق، مفهوم الأدبية في التراث التقدي، صص 68- 69، تونس: لسبراس للنشر، 1985م.
37. أبو عشية، 2013 م: ص 6.
38. الأمين، 1994 م: ص 117.
39. حيدر، محمود، لغة التماس مطالعات في شعر سعاد الصباح، ص 39، بيروت: مؤسسة دار الكتاب الحديث، الطبعة الأولى، 1995م.
40. الصباح، سعاد، القصيدة أنثى و الأنثى قصيدة، ص 85، كويت: دار سعاد الصباح للنشر. 1999م
41. مفتاح، محمد، دينامية النص- تنظير و انجاز-، ص 72، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 1990 م.
42. الأمين 1994م: ص 79.
43. يقول ابن الأنباري: « اعلم أن المذكر و المؤنث، إذا اجتمعا، غلب المذكر على المؤنث، تقول من ذلك: الرجل والمرأة قاما، وقعدا وجلسا، و لا يجوز: قامتا، وقعدتا، و جلستا؛ لأن المذكر يغلب المؤنث، لأنه هو الأصل، و المؤنث مزيد عليه فالزيد عليه هو الأصل» (ابن الأنباري،

- ابوبكر محمد بن القاسم، كتاب المذكر والمؤث، ص 182، تحقيق: طارق عبد عون الجنابي، بغداد: وزارة الأوقاف، الطبعة الأولى، 1978م.
44. أبو ريشه، زليخة: اللغة الغائبة نحو لغة غير جنسوية، ص 37، عمان: دراسات المرأة، الطبعة الأولى، 1996م.
45. الخنساء، 1988 م: ص 326.
46. ابن منظور، أبو الفضل، لسان العرب، ذيل مادة عرس، القاهرة: دار المعارف، 1980م.
47. برهومة : 2002 م: ص 134.
48. الخنساء، 1998 م: ص 116.
49. ابوعشيرة، 2013 م: ص 113.
50. الخنساء، 1998 م: ص 140.
51. المصدر نفسه، 1998م: ص 344.
52. سعاد الصباح، 1997 م: ص 32.
53. حسين عيسى العفيف، 2010م: ص 137.
54. أحمدى، بابك، ساختار و تأويل متن، ص 556، تهران: نشر مركز، چاپ چهارم، 1378ش.
55. الصباح، دبت: ص 3.
56. المصدر نفسه، 2008م: ص 21-22.
57. نقلاً عن : الأمين، 1994: 41.
58. نقلاً عن المصدر السابق: 1994: ص 41.
59. الصباح، 1999 م: ص 63.
60. نقلاً عن الأمين، 1994 م: 49.
61. نقلاً عن المصدر السابق، 1994 م: ص 39.
62. القرآن الكريم، سورة ص، الآية 23.
63. ابن المنظور، أبو الفضل، لسان العرب، القاهرة: ذيل مادة نعب، دار المعارف، 1980م.
64. صباح، 1997م، ص 38.